

التمكين للغة العربية: آفاق وحلول

د. محمود السيد (*)

سأحاول في هذا البحث الموجز أن أقف على مفهوم اللغة ووظيفتها وأهميتها بوجه عام، وكيف تُعنى الأمم الحية بلغاتها، ثم أُبين سمات اللغة العربية ومكانتها والتحديات التي تواجهها على الصعيدين الخارجي والداخلي، وصولاً إلى التمكين لها، والحفاظ عليها، والارتقاء بها، والاهتمام بإتقانها على النحو الذي وجّه إليه قائد الوطن السيد الرئيس بشار الأسد.

١ - اللغة مفهوماً ووظيفةً وأهميةً

اللغة مفهوم منظومي يشمل الإيماءات والإشارات والأصوات والرموز المكتوبة، وجميع صور التعبير قاطبة، من رسم ونحت ورقص وموسيقا... إلخ، إلا أن اللغة المنطوق بها تحتل المرتبة الأولى بين جميع هذه الجوانب. وتمثل وظيفة اللغة في التفكير والتواصل والتعبير، أو في التعرف والنداء والتعبير، وإن كان بعض الباحثين يرى أن وظيفة التعبير ما هي إلا ضرب من التواصل، وأن الوظيفة الأساسية للغة إنما هي التواصل، ذلك لأن اللغة مؤسسة اجتماعية إنسانية.

واللغة والفكر وجهان لعملة واحدة، إذ إننا لا يمكن أن نتصور لغة من غير فكر ولا فكراً من غير لغة. ويقول الدكتور طه حسين في هذا الصدد: «نحن نشعر

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

بوجودنا وبمجاتنا المختلفة وعواطفنا المتباينة وميولنا المتناقضة حين تفكر، ومعنى ذلك أننا لا نفهم أنفسنا إلا بالتفكير، ونحن لا نفكر في الهواء، ولا نستطيع أن نفرض الأشياء على أنفسنا إلا مصورة في هذه الألفاظ التي نقدرها ونديرها في رؤوسنا، ونظهر منها للناس ما نريد، ونحتفظ منها لأنفسنا بما نريد. فنحن نفكر باللغة، ونحن لا نغلو إذا قلنا إنها ليست أداة للتعامل والتعاون الاجتماعيين فحسب، وإنما هي أداة للتفكير والحس والشعور.

ويرى الفيلسوف الفرنسي «كونديلاك» أن عملية التفكير نفسها مستحيلة بغير اللغة ورموزها، ويرى أنه لا معرفة بغير تحليل، ولا تحليل بغير رموز أي بغير ألفاظ.

ولقد أشار «ماكس مور» إلى أنه «باللغة وباللغة وحدها يندمج الفرد في المجتمع، ويتلقى تراث الأمة الفكري والشعوري والأخلاقي والاجتماعي كله، التراث المنحدر من قرائح الكتاب والشعراء والمفكرين السالفين منهم والمعاصرين». وعده «فيختة» الأمة الألمانية بأنها جميع الذين يتكلمون اللغة الألمانية، ذلك لأن «الذين يتكلمون بلغة واحدة يكونون كلاً موحدًا، ربطته الطبيعة بروابط متينة، وإن كانت غير مرئية».

ويرى «هردر» الألماني أن «لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين، ولكن قلب الشعب ينبض في لغته، وروحه يكمن في لغة الآباء والأجداد».

وعبر «هيدجر» الفيلسوف الألماني أيما تعبير عن أهمية اللغة عندما قال: «إن لغتي هي مسكني، هي موطني ومستقري، هي حدود عالمي الحميم ومعامله وتضاريسه، ومن نوافذها، وبعيونها أنظر إلى بقية أرجاء الكون الفسيح».

ويضيف «حيث توجد اللغة يوجد عالم. ولما كان التاريخ لا يصير ممكنًا إلا في عالم، اقتضى ذلك أنه حيث توجد اللغة يوجد التاريخ».

أما «ستالين» فيرى «أن اللغة هي إحدى الوقائع الاجتماعية الفاعلة والمؤثرة في سياق الوجود الاجتماعي وديمومته كلها، فهي تبقى ببقائه وتزول بزواله، وليس ثمة إمكان وجود أي لغة في خارج نطاق المجتمع».

وفي عصرنا الحالي ازدادت أهمية اللغة، وعُني بها علماء متعددون وفي اختصاصات متعددة حتى غدت مركز الدراسات الإنسانية، إذ عني بها عالم وظائف الأعضاء، والطبيب المختص بالأعصاب وأمراض الكلام، وعالم الرياضيات، والمهندس الكهربائي، والمعلوماتي، وعالم النفس، وعالم الاجتماع، والمربي، واللغوي... إلخ. وإذا كان سقراط قد قال لجليسه «تكلم حتى أراك» فإن الشاعر حاليًا في عصر الشابكة «الإنترنت» تكلم حتى يراك الآخرون عن بُعد، وترى نفسك وهي بعيدة عنك.

٢- عناية الأمم بلغاتها

تُعنى الأمم الحية بلغاتها أيما عناية، فتعمل على نشرها والاعتزاز بها والتمسك بها رمزًا لهويتها وذاتيتها، **فها هي ذي اليابان** قد استسلمت في الحرب العالمية الثانية تحت وطأة القنابل الذرية الأمريكية، ففرض الأمريكيون شروطهم المحقفة على اليابان المستسلمة، مثل تغيير الدستور وحلّ الجيش ونزع السلاح... إلخ. وقد قبلت اليابان جميع تلك الشروط ما عدا شرطًا واحدًا لم تقبل به، وهو **التخلي عن لغتها القومية في التعليم**، فكانت اللغة اليابانية منطلق نهضتها العلمية والصناعية الجديدة.

وفي كوريا يجري التعليم في مختلف مراحلہ وتنوع اختصاصاته باللغة الكورية الفصيحة، وتوجد في كوريا حالياً ما يزيد على ١١٠ قنوات تلفزيونية كلها خاصة إلا قناة حكومية واحدة، وجميعها تبث باللغة الكورية الفصيحة السليمة طبقاً للسياسة اللغوية للدولة وتحت مراقبتها. وجميع اللافئات وأسماء الميخال بالكورية فقط، والنادر منها كلافئات السفارات والفنادق الكبرى يضيف الاسم بالحروف الأجنبية الصغيرة تحت الحروف الكورية الكبيرة.

وفي فيتنام دعا القائد الفيتنامي «هوشي مينه» أبناء أمته قائلاً: «لا انتصار لنا على العدو إلا بالعودة إلى ثقافتنا القومية ولغتنا الأم».

وأضاف «حافظوا على صفاء لغتكم حفاظكم على صفاء عيونكم، حذار من أن تضعوا كلمة أجنبية في مكانٍ بإمكانكم أن تضعوا فيه كلمة فيتنامية». ولقد أدركت فرنسا منذ أواخر القرن الثامن عشر أهمية اللغة القومية الفصيحة في بناء الأمة، وأنه لا حرية حقيقية من رواسب الإقطاع، ولا كيان للشخصية الفرنسية إلا بتمثل اللغة القومية.

وقدّم الراهب «غريغوار» إلى مجلس الثورة تقريراً عن حال اللغة الفرنسية جاء فيه: إننا نستطيع أن نؤكد دون مغالاة أن نحوًا من ستة ملايين من الفرنسيين، ولا سيما في الأرياف لا يعرفون لغتهم القومية، وعددًا لا يقل عن ذلك، إذا عرفوا شيئًا منها فإنهم لا يستطيعون أن يواصلوا التحدث بها، والذين يحسنون التكلم بها بفصاحة لا يتجاوز عددهم ثلاثة ملايين، أما الذين يستطيعون كتابتها على وجه الصحة فهم أقل من ذلك بكثير. وحل المشكلة يكمن في محاربة اللهجات المحلية ونشر اللغة الفرنسية الفصيحة بين المواطنين جميعهم.

وأصدرت الجمعية الوطنية الفرنسية عام ١٩٩٤م قرارًا ينص على عدم السماح بعقد المؤتمرات العلمية المتحدثة بالإنكليزية على الأرض الفرنسية. ووضع البرلمان الفرنسي قائمة بالكلمات السود التي يحظر استعمالها في لغة الإعلام والإعلان.

ووقفت فرنسا في المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة («اليونسكو») تدافع عن التعدد اللغوي والتنوع الثقافي.

وتجدر الإشارة إلى أن مدرّس الرياضيات في فرنسا يحاسب طلبته على أخطائهم اللغوية كما يحاسبهم على أخطائهم في الرياضيات.

وفي إسبانيا اجتمع أعضاء البرلمان بعد انتخاب («خوسيه لويس ثاباتيرو») رئيسًا للحكومة الإسبانية في ١٤ آذار عام ٢٠٠٤م تحت قبة البرلمان، وحاول ممثلو إقليم قطلونيا استعمال اللغة المحلية، غير أنهم فوجئوا بالرفض الشديد من («مانويل مارين») رئيس البرلمان الذي منعهم من استعمال اللغة المحلية، لما تمثله من خطر من شأنه أن يهدد اللغة الإسبانية الرسمية، وقد استشهد رئيس البرلمان بالمادة الثالثة من الدستور الإسباني، التي تنص على أن اللغة الإسبانية هي اللغة الرسمية التي ينبغي لجميع أبناء الشعب استعمالها.

وفي ألمانيا عندما سُئل («بسمارك») عن أفضع الأحداث التي حدثت في القرن الثامن عشر، أجاب: إن الجاليات الألمانية في شمال أمريكا اتخذت اللغة الإنكليزية لغة رسمية لها، وكان يأمل أن تتخذ هذه الجاليات اللغة الألمانية لا الإنكليزية، وقد أثبتت الأحداث صدق رؤيته، فقد وقفت أمريكا إلى جانب إنكلترا في الحريين العالميتين الأولى والثانية. وللغة دور في تقارب الفكر وتوحيد الرؤى.

وورد في صحيفة «دي فيلت» الألمانية على صفحتها الأولى وبالخط العريض عنوان «لا شهادة ثانوية لضعيف في اللغة الألمانية»، ويتحدث المقال عن طالبة ألمانية نجحت في مواد الشهادة الثانوية ما عدا اللغة الألمانية، فأقامت دعوى على لجنة الامتحانات، إلا أن المحكمة أصدرت حكمها برسوب الطالبة، فاستأنفت الحكم، ولكن محكمة الاستئناف اعتمدت الحكم وقررت أنه «لا شهادة ثانوية لضعيف في اللغة الألمانية».

وفي بريطانيا أصدر المجلس القومي لمعلمي اللغة الإنكليزية قرارًا يقضي بأن على كل معلم أن يكون معلمًا للغة الأم أولاً، ذلك لأن تعليم اللغة إنما هو مسؤولية جماعية، وجميع المعلمين مهما تكن اختصاصاتهم ينبغي لهم أن يعلموا اللغة الأم من خلال تعليم موادهم.

ولم نذهب بعيداً فيها هي ذي إسرائيل أقامت كيانها على إحياء اللغة العبرية، وهي لغة ميتة منذ ألفي سنة، فاعتمدها في جميع شؤون حياتها تعليمًا وإعلامًا وتواصلًا، حتى إن المؤتمرات الذرية والنووية تُعقد باللغة العبرية لا بالإنكليزية.

٣- اللغة العربية: سمات ومكانة

تُعد اللغة الأم هوية المرء وهوية أمته التي ينتسب إليها في الوقت نفسه، ولغتنا العربية الفصيحة هي لغتنا الأم التي وحدت بين العرب في مواضي الحقب بطريق القرآن الكريم، وما تزال هي الرابطة الموحدة والموحدة، شأنها في ذلك شأن الأمم التي توحد بين أبنائها وتحنو عليهم، وتشملهم برعايتها وعنايتها حبًا وعطفًا واهتمامًا.

إنها وسيلتنا للتعبير عن مشاعرنا وعواطفنا وأفكارنا، ووسيلتنا لقضاء حاجتنا، وتحقيق متطلباتنا في التواصل مع أفراد مجتمعنا، ووسيلتنا للتحكم في بيئتنا لأنها أداة التفكير وثمرته.

إنها رمز لكياننا وثقافتنا والقلعة الحصينة للذود عن هويتنا وذاتيتنا الثقافية ووحدةنا القومية.

وهي لغة قرآنا الكريم وذاكرة أمتنا ومستودع تراثها، والرابطة التي جمعت وتجمع بين أبناء الأمة فكراً ونزوعاً وأداءً، آلاماً وآمالاً، تاريخاً وحاضرًا ومستقبلاً.

ولقد كان ثمة خلاف بين اللهجات العربية القديمة قبل نزول القرآن الكريم، فكان هناك خلاف في موضع إبدال الحروف والنطق، تمثل في الكشكشة عند ربيعة ومضر «إبدال الكاف شيئاً في الخطاب»، والفحفة في لغة هذيل «إبدال الحاء عيناً»، والاستنطاء في قيس والأزد «جعل العين الساكنة نوناً»، والعجعة عند قضاعة «جعل الياء جيمًا».

وكان ثمة خلاف في معاني المفردات إضافة إلى الخلاف في إبدال الحروف والنطق، وكانت لغة قريش أوسع اللغات انتشاراً في الجزيرة العربية. وكانت قريش أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة كما يقول أحمد بن فارس في كتابه «الصاحبي في فقه اللغة».

ونزل القرآن الكريم بلغة قريش وتأثرت اللغة العربية بالقرآن الكريم فاتسعت مادتها، وتشعبت أغراضها ومعانيها، وتهدبت ألفاظها، ورقت أساليبها.

وأكسب القرآن الكريم اللغة العربية عذوبة في اللفظ، ورقة في التراكيب، ودقة في الأداء، وقوة في المنطق، وثروة في المعاني، ووسع دائرة اللغة باستعماله

الألفاظ الدينية كالصلاة والزكاة والصيام والركوع والسجود والمؤمن والكافر... إلخ.

وتتسم لغتنا العربية بسمات متعددة في حروفها، من حيث اتساع المدرج الصوتي فانفردت بحروف لا توجد في اللغات الأخرى كالضاد والطاء والعين والغين والحاء والقاف، وهناك تقارب في اللفظ بين بعض الحروف، وتقارب في الشكل بين بعضها الآخر، وثمة ثبات في الحروف العربية الأصيلة فتبقى محافظة على أصلها، إضافة إلى العلاقة بين الحرف والمعنى.

وتتسم لغتنا أيضاً بالمنطقية في قوالها والغنى في مفرداتها والدقة في تعبيرها، والإيجاز في تراكيبها والإعراب الموضح لمعانيها.

وتحتل لغتنا العربية مكانة كبيرة في نظر الباحثين والمستشرقين المنصفين، ولقد أشار إلى تلك المكانة الكاتب الإسباني القديم Alvaro في القرن التاسع الميلادي، و«بيترارك» شاعر إيطاليا الكبير في القرن الرابع عشر الميلادي، والكاتب القاص الفرنسي «جول فرن» والمستشرق الإنكليزي «إدوارد نيسون روس» والمستشرق الإيطالي «كارل نلينو» والمستشرق الإيطالي «جويدي»، والمستشرق الأمريكي «وليم ورل»، والمستشرق الأمريكي «كوتهيل»، إذ يقول هذا المستشرق: «قلّ منا نحن الغربيين من يقدّر اللغة العربية حق قدرها من حيث أهميتها وغناها، فهي بفضل تاريخ الأقسام التي نطقت بها وبداعي انتشارها في أقاليم كثيرة، واحتكاكها بمدنيات مختلفة، قد نمت إلى أن أصبحت لغة مدنيّة بأسرها بعد أن كانت لغة قبليّة. لقد كان للعربية ماض مجيد، وفي تقديري سيكون لها مستقبل باهر».

ويقول المستشرق الأمريكي «وليم ورل»: «إن اللغة العربية من اللين والمرونة ما يمكنّاها من التكيف وفق مقتضيات العصر، وهي لم تتقهقر فيما مضى

أمام أي لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها، وهي ستحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي».

أما العالم الألماني «فرينباغ» فيقول: «ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب، بل الذين نبغوا في التأليف بها لا يمكن حصرهم، وإن اختلافهم عنا في الزمان والسجايا والأخلاق أقام بيننا نحن الغريباء عن العربية وبين ما ألقوه حجابًا لا نتبين ما وراءه إلا بصعوبة».

ويقول المؤرخ «أرنست رينان»: «من أغرب المدهشات أن تبنت تلك اللغة القوية، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرُّحَل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم، ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال لدرجة أنها لم تتغير أي تغير يُذكر، حتى إنها لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة، ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى، ولا نعلم شبيهاً لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج، وبقيت محافظة على كيانها من كل شائبة».

ويشير «ماسينيون» الفرنسي إلى أن اللغة العربية لغة وعي ولغة شهادة، وينبغي إنقاذها سليمة بأي ثمن للتأثير في اللغة الدولية المستقبلية، وإن في اللفظ العربي جرسًا موسيقيًا لا أجده في لغتي الفرنسية، بحسب تعبيره.

٤ - من التحديات التي تواجهها اللغة العربية

ثمة تحديات كثيرة تواجهها لغتنا العربية على الصعيدين الخارجي والداخلي، ومن التحديات الخارجية التي واجهتها في الماضي مواجهتها لتوسع الدولة الإسلامية وانتشار العرب في بقاع من الأرض، لم يكن لهم بها عهد من أجناس ولغات وأديان وحضارات متعددة، وكان ذلك حرّياً أن يلتهم هذه اللغة التي خرجت من نطاق ضيق وإطار محصور في الجزيرة العربية، وأن يقضي عليها ويستبدل بها غيرها من لغات الأمم الأخرى التي اتصلت بها وعاشت معها، وكانت أعرق منها في مجال العلم والثقافة والحضارة. ولكن اللغة العربية ازدادت اتساعاً في ميادين المعرفة وانتشاراً في أرجاء العالم المعروف آنئذٍ، وسرعان ما صارت هي لغة الإدارة والعلم والثقافة لأهلها وللعالم المعروف آنذاك، وتدفق الشعر والنثر والتأليف والترجمة والتعليم في العصر الأموي ثم في العصر العباسي، فحملت اللغة العربية علم الإغريق وفلسفتهم، وعلوم المسلمين وأدبهم من نثر وشعر إلى أوروبا، وكان العلماء الأوربيون يستعملونها لغة للتعليم والتعلم، ويترجمون منها إلى اللاتينية.

ومن التحديات التي واجهتها لغتنا العربية في ماضيها هجمات المغول والتتر وإلقاء الكتب والمخطوطات العربية في نهر دجلة حيث ظلّ ماؤه متشعّباً بالسواد أربعين يوماً نتيجة لما أُلقي فيه من كتب ومخطوطات.

ومن هذه التحديات أيضاً حملة نابليون على مصر ودعوته إلى نشر الفرنسية، وحملة التتريك التي رمت إلى استبعاد العربية وفرض اللغة التركية مكانها، ثم محاولات المستعمرين فرض لغاتهم إبان احتلالهم للدول العربية، ومحاولات بعض المستشرقين في النصف الأول من القرن الماضي في اعتماد اللهجات العامية وكتابتها بالأحرف اللاتينية على يد القاضي «ويلمور»

والمهندس «ويلكوكس». وقد سار نفر من أبناء العربية تحت لواء تلك الدعوات من أمثال سلامة موسى، وعبد العزيز فهمي، وأنيس فريجة... إلخ. أما التحديات التي تواجهها لغتنا العربية في عصرنا الحالي فتتمثل في بعض جوانبها بالعملة، وهذه العملة الثقافية تروم نشر اللغة الإنكليزية لغة القطب الواحد وهيمنتها في التعليم والتواصل، وهذا ما دفع أمريكا إلى مناهضة للوقوف بضدّ التنوع الثقافي والتعدد اللغوي في المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو».

واتخذت محاربة اللغة العربية الفصيحة أشكالاً متعددة منها وصم لغتنا بالتخلف وعدم مواكبة روح العصر والتفجر المعرفي، وبأنها لغة البداوة وليست لغة العلم، ووصمها بالصعوبة والتعقيد بسبب نحوها وصرفها وكثرة الحركات فيها، وأنها تُفهم لثُقرأ خلافاً لبقية اللغات.

ومن هذه الأساليب إحياء الدعوة إلى استعمال اللهجات العامية مجدداً، وتشجيع البحوث التي تخدم العاميات وتقديم الدعم المادي لها، حتى إن بعض الجامعات الأمريكية قامت بإلغاء تدريس اللغة العربية والاستعاضة عنها باللهجات العربية مثل الشامية والمصرية والمغربية والعراقية، كما أن فرنسا عملت على استبعاد العربية من امتحانات الشهادة الثانوية، حيث كان يُسمح للطالب باختيار لغة ثانية كالإنكليزية والألمانية والإسبانية والعربية. وابتداءً من عام ١٩٩٥م لم تعد العربية من بين هذه اللغات، واستُعيض عنها بعدد من اللهجات العربية والكتابة بها.

ومن الأساليب أيضاً إحياء لغات الأقليات وتقديم الدعم للقائمين بها تحت شعار حقوق الإنسان.

وثمة توجُّهٌ إلى إلغاء اللغة العربية من بين اللغات العالمية الرسمية في منظمة الأمم المتحدة، واللغات العالمية الرسمية في المنظمة هي: «الإنكليزية، الفرنسية، الإسبانية، الروسية، الصينية، العربية»، وذلك للأسباب الثلاثة الآتية:

١- عدم وفاء معظم الدول العربية بالتزاماتها المتعلقة بدفع نفقات استعمال العربية في المنظمة.

٢- عدم استعمال ممثلي الدول العربية للغة العربية في الأمم المتحدة، فهم يستعملون الإنكليزية أو الفرنسية في إلقاء كلماتهم ومناقشاتهم.

٣- عدم وجود مترجمين عرب أكفاء يجيدون اللغة العربية. ولقد ضغطت الدول الكبرى ومنها أمريكا على منظمة اليونسكو بخصوص حقوق التنوع اللغوي، مما جعل هذه المنظمة أخيراً تعلن أن الحقوق اللغوية تنحصر في ثلاثة:

١- الحق في لغة الأم وليس اللغة الأم.

٢- الحق في لغة التواصل في المجتمع.

٣- الحق في لغة المعرفة.

وتعني هذه الحقوق فيما يتعلق ببلادنا العربية:

١- لغة الأم هي اللهجة العامية أو إحدى اللغات الوطنية غير العربية.

٢- لغة التواصل هي اللهجة العربية الدارجة.

٣- لغة المعرفة العالمية هي الإنكليزية أو الفرنسية.

وفي ظل هذه العولمة الثقافية ذات القطب الواحد تنتشر الأفلام والمسلسلات المتلفزة والأغاني الأجنبية التي تطالنا في كل مكان، وتصافح أسمعنا، وهي محمّلة بأنماط الحياة وأساليب التفكير والسلوك

العربية وخاصة الأمريكية حتى تتشربها الأجيال، وتغدو نمط حياة وأسلوب تفكير وسلوك، فتذوب شخصياتها في شخصية البلد المصدر، ويتغرب فكرها وشعورها، وتسود ثقافة واحدة.

وتروج الدوائر المعادية لأمتنا لبعض المصطلحات، وتعمل على سيرورتها وانتشارها، ومن بين هذه المصطلحات «منطقة الشرق الأوسط»، إذ إن هذا المصطلح يشمل منطقة لا هوية لها، لإزالة الهوية العربية، وليحل هذا المصطلح مكان «الوطن العربي» أو «البلاد العربية» أو «الأمة العربية». والغاية من ذلك كله تغريب الفكر وتأمركه وتصهينه، بغية إزالة الطابع العربي وإقحام إسرائيل في المنطقة لتصبح جزءاً عضوياً مقبولاً فيها. وشاع المصطلح دون وعي فكانت لنا محطة إذاعية وجريدة عربية كبيرة سُميت به.

ومن المصطلحات «الشراكة الأوربية المتوسطة»، وأسقط الشريك العربي، فباتت الشراكة أوربية فقط، أي بين الدول الأوربية الواقعة على البحر المتوسط وحدها، وكان من الواجب أن يكون التعبير السليم «الشراكة الأوربية العربية المتوسطة»، وكان القصد تغييب الصفة العربية من كل مصطلح أو عبارة، من أجل أن تغيب معها الهوية العربية في نفوس الناشئة والأجيال القادمة، ومن أجل إقحام إسرائيل في هذه الشراكة.

ومن المحاولات أخيراً تفرغ المناهج والكتب في مراحل التعليم العام وفي المرحلة الجامعية الأولى من النماذج التأصيلية والنصوص التأسيسية للغة العربية وثقافتها، إما بحذفها أو بوضع نماذج ونصوص هزيلة مكانها، فيفرغ عقل الدارس ووجدانه من كل ما هو أصيل يصله بحقيقة لغته وثقافة أمته.

ويُضاف إلى ذلك كله ضعف نسبة ما يُنشر باللغة العربية على الشبكة «الإنترنت»، إذ إن ٨٠% من صفحات الموقع المتوفرة على شبكة «الويب» مكتوبة بالإنكليزية، وثمة نقص رقمي على الشبكة بالعربية وعدم اعتماد مواصفات محارف اللغة العربية وهذا يسبب الكثير من الإشكالات.

ومن الملاحظ التهميش للعربية لمصلحة الإنكليزية، على أن الإنكليزية هي لغة عمل وتواصل على جميع الصعد، بدءًا من النشر العلمي وتبادل الخبرات التقانية «التكنولوجية» ومرورًا بالتعليم العالي والتجارة والصناعة والإعلام والإعلان وغيرها، وصولًا إلى التعليم الأساسي ورياض الأطفال. وهذا يعني ضمور اللغة العربية واستعمالها في مجالات تقليدية محددة، وقد يزداد دور اللهجات العامية في تأثيرها على الفصيحة.

وإذا أضفنا إلى هذه التحديات النعيم على ثقافتنا العربية والحقد على حضارة أمتنا، أدركنا عمق التحديات التي نواجهها، ففي احتلال العراق على يد الأمريكان والمتحالفين معهم تمّ تحطيم ضريح نبوخذ نصر وسوي بالأرض، وأصبح مكانه موقفًا للسيارات العسكرية، وتمت سرقة مليون كتاب من أمهات الكتب وسرقة ثمانية ملايين وثيقة، وسرقة ١٧٠.٠٠٠ لوحة أثرية منها ١٤.٠٠٠ لوحة ليس لها مثيل.

أما التحديات الداخلية التي تواجهها لغتنا العربية فهي البيئة الملوثة لغويًا من حيث استشرء اللهجات العامية، وانتشار الكلمات الأجنبية على المحالّ التجارية والمطاعم والفنادق والحياة العامة، والكلمات العامية والأخطاء النحوية على وسائل النقل وفي الإعلانات والإعلام، وفي الكلمات التي تُلقى في المناسبات، وفي العملية التعليمية العلمية في مدارس التعليم العام، وفي المعاهد

والجامعات، وضبابية المقاصد في أذهان القائمين على تعليم اللغة وتعلمها، وقصور محتوى المناهج وضآلة الجانب الوظيفي فيها، وتخلّف طرائق تعليم اللغة وتعلمها، والإخفاق في غرس الشغف بالقراءة ومحبتها في نفوس المتعلمين، إذ إن أبناء الأمة مبتلون بأفة العزوف عن القراءة، ففي أوروبا ٣٥ كتابًا للفرد الواحد يُقرأ سنويًا، وفي إسرائيل ٤٠ كتابًا للفرد الواحد تُطبع بالعبرية، وفي السنغال أربعة كتب للفرد الواحد، وفي الوطن العربي كتاب واحد لكل ثمانين فردًا.

وهناك إخفاق في إكساب المتعلمين مهارات التعلم الذاتي، وضآلة نسبة ما يُترجم إلى اللغة العربية ومنها، وقلة البحوث العلمية في المجال التعليمي المتعلق باللغة، والجمود اللغوي، إذ إن اللغة العربية - كما يقول الدكتور طه حسين - لن تتطور ما لم يتطور أصحابها أنفسهم، ولن تكون لغة حية إلا إذا حرص أصحابها على الحياة، ولن تكون لغة قادرة على الوفاء باحتياجات العصر إلا إذا ارتفع أصحابها إلى مستوى العصر ثقافة وسلوكًا وفهمًا، أخذًا وعطاءً.

ومن التحديات الداخلية أيضًا ضعف التعبير الوظيفي وقلة الرصيد الحفظي، وهيمنة اللغات الأجنبية في الجامعات الخاصة وفي المدارس الخاصة حتى في رياض الأطفال، وضعف الانتماء وفتوره وضعف الوعي اللغوي، وليس هذا الضعف في الوعي اللغوي لدى الأميين فقط، وإنما لدى نفر من «المثقفين» الذين يهجرون لغتهم إلى استعمال العامية حينًا، وإلى استعمال الإنكليزية أو الفرنسية حينًا آخر.

٥- التمكين للغة العربية

انطلاقاً من أهمية لغتنا العربية ومن دورها القومي في بناء أمتنا وتماسكها الاجتماعي، حرصت سورية على الحفاظ على لغتنا الفصيحة وعلى سيرورتها وانتشارها في جميع مناحي الحياة. ولهذا قاومت محاولات التتريك، الرامية إلى إبعاد اللغة العربية وفرض التركية مكانها إبان حكم الأتراك لبلاد الشام، وكان رواد التعريب الأوائل قد وقفوا جهودهم على التنقيب والبحث في رحاب لغتهم، واعتمادها على الألسنة والأقلام أسلوباً عربياً فصيحاً ومشرفاً.

ثم عجز الاستعمار الفرنسي الذي ابتليت به سورية مدة خمس وعشرين سنة عن أن ينال من منجزات التعريب ومسيرته، إذ بقي معهدا الطب والحقوق اللذان افتتحا عام ١٩١٩م يُدرّسان باللغة العربية، وكانا نواة الجامعة السورية، وقد خاطب السيد «بونور» مدير المعارف العام في المفوضية العليا إبان الانتداب الفرنسي أساتذة الجامعة السورية آنذاك مباركاً لهم اعتماد اللغة العربية في التدريس، متمنياً عليهم ألا يُضَيِّعوا هذا الاحترام المقدر للغتهم، لأن من يُدافع عن لغته يُدافع عن أصله وعن حقه وعن كيانه وعن لحمه ودمه وفق تعبيره.

ولقد تكاملت الدراسات العلمية والدراسات الإنسانية والأدبية باللغة العربية منذ ذلك الوقت وإلى يومنا هذا، وشمل التعريب مختلف التخصصات، وغدت سورية قلعة للتعريب والذود عن العربية، والحرص على سيرورتها وانتشارها نقية وسليمة على الألسنة والأقلام، وفي جميع مناحي الحياة، وصارت مضرب المثل على نطاق الساحة العربية في تمسكها بلغتها الأم والحفاظ عليها، وكان المجمع العلمي العربي «مجمع اللغة العربية اليوم» مرجعاً للدوائر الحكومية في مسيرة التعبير وفي كل ما من شأنه تعزيز اللغة العربية.

وصدر المرسوم التشريعي ذو الرقم ١٣٩ بتاريخ ١١/٦/١٩٥٢م يعرّز استعمال اللغة العربية في البيئة، وذلك بمنع إطلاق الأسماء الأعجمية على المحال العامة والخاصة، كما صدر بتاريخ ٥/٧/١٩٧٠م بلاغ رئاسة مجلس الوزراء ذو الرقم ٩٥/ب/١٧٠٩/٥ للحد من طغيان الأسماء الأجنبية على المحال العامة والخاصة، وصدر أيضاً كتاب من رئاسة مجلس الوزراء إلى الجهات المعنية ذو الرقم ١/ ٢٧٢١ بتاريخ ١٩٨٠/٥/٢٨ يتضمن اعتماد توصية اللجنة الثقافية حول تعريب أسماء المحلات القائمة في البلاد، ونصت المادة الثالثة من قرار وزير السياحة ذي الرقم ٣٩٧ لعام ١٩٨٠م على أن تختار المكاتب والمنشآت السياحية على اختلاف درجاتها وفتاتها في التصنيف أو التأهيل أسماءً عربية فقط، ويحظر عليها استعمال أسماء أجنبية، واستثنى القرار المنشآت السياحية الأجنبية ذات المستوى والتصنيف الدوليين، والخاضعة لأنظمة الوزارة والمرتبطة بها بموجب العقود المبرمة معها.

ومع كلِّ هذا الحرص لوحظ أن ثمة انحداًراً في المستوى اللغوي في مضمار تعليم اللغة العربية وتعلمها، إن في التعليم العام أو في التعليم الجامعي لدى طلبة الجامعات والمعاهد وفي مختلف الاختصاصات، فصدر المرسوم الجمهوري ذو الرقم ٧٥٩/ بتاريخ ١٠/٦/١٩٨٣م ينص على تدريس اللغة العربية في المرحلة الجامعية الأولى في جميع سنوات الدراسة، في الكليات والمعاهد العليا في سورية، فيما عدا قسمي اللغة العربية والسنوات الأخيرة في كلية الطب البشري. ويدرس هذا المقرر على مدار السنة في النظامين الدراسيين الفصلي والسنوي، وألّفت الكتب الخاصة بتعليم اللغة العربية لغير المختصين، ونُقذت التجربة منذ ثمانينيات القرن الماضي.

ولم تقتصر إجراءات النهوض بالمستوى اللغوي على الطلبة فقط، وإنما امتدت إلى أعضاء الهيئة التدريسية، إذ أوصت اللجنة الثقافية في رئاسة مجلس الوزراء بضرورة العناية باللغة العربية في جميع الكليات واختيار المعيدين وأعضاء الهيئة التدريسية من الذين يُحسِنون اللغة العربية في التدريس.

بيد أن هذه الإجراءات كافة لم تحقّق الأهداف المرجوة، فما يزال الوضع اللغوي يعاني القصور في مختلف مواقعه، إن في العملية التعليمية التعلمية في مدارس التعليم العام ما قبل الجامعي، وإن في التدريس الجامعي، وإن في البيئة الخارجية إعلامًا وإعلانات ومحافل ومنتديات وحوارًا وتراسلاً.. إلخ.

ولهذه الأسباب مجتمعة صدر القرار الجمهوري ذو الرقم /٤/ بتاريخ ٢٦/١/٢٠٠٧م بتكوين لجنة للتمكين للغة العربية والمحافظة عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها، وحدد القرار الجمهوري مهمة اللجنة بوضع خطة عمل وطنية للتمكين للغة العربية والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها، ومتابعة تنفيذها.

وقامت اللجنة المكوّنة والتي كان لي شرف رئاستها، بوضع خطة العمل الوطنية للتمكين في الأشهر الثلاثة الأولى من تاريخ تكوينها، وما تزال تتابع إنفاذها مع الجهات المعنية، وقد اشتملت الخطة على مسوّغات وضعها فأبانت أهمية اللغة عامة، والأهمية القومية للغة الأم، وحرص الجمهورية العربية السورية على سلامة اللغة الأم، ثم وقفت الخطة على الواقع اللغوي والعوامل المؤثرة فيه في العملية التعليمية التعلمية، وفي خارج العملية التعليمية التعلمية في البيئة الخارجية، كما وقفت على سبيل المواجهة، وأبانت ما الذي ينبغي للجهات المعنية القيام به «وزارة التربية، وزارة التعليم العالي، وزارة الإعلام، وزارة

الثقافة، وزارتا الاقتصاد والسياحة، وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، وزارة الأوقاف، اتحاد الكتّاب العرب، مجمع اللغة العربية، الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية» وثمة إجراءات عاجلة لابدّ من تنفيذها بسرعة ذكرتها الخطة، وتقوم الجهات المعنية بتنفيذها، وتتابع اللجنة عملية التنفيذ محاولة تذليل العقبات المعارضة، وتجتمع اللجنة شهرياً وتقدم تقارير المتابعة إلى السيدة الدكتورة نجاح العطار نائب السيد رئيس الجمهورية للشؤون الثقافية.

ولما كان للمعلمين دورهم الفعّال في الارتقاء باللغة وإكساب الناشئة مهاراتها، كان حريّاً بنا أن نقف على الأدوار المنوطة بوزارتي التربية والتعليم العالي، والتي عليهما تنفيذها، لأن للمعلمين دوراً أساسياً في عملية التنفيذ.

وزارة التربية:

أ- إجراء دورات تدريبية لمربيّات الأطفال على استعمال العربية المبسطة في رياض الأطفال، والسعي التدريجي لأن تكون الرياض جزءاً من السلم التعليمي، وتوفير مستلزمات هذا المسعى من برامج وأنشطة وكراسات وأدلة... إلخ.

ب- إجراء دورات تدريبية للمعلمين كافة لتدريبهم على استعمال أساسيات لغتهم استعمالاً سليماً، وتوظيف دورات التدريب المستمر في جانب منها لهذا المسعى.

ج- التزام جميع المعلمين وفي مراحل التعليم كافة باستعمال اللغة العربية في العملية التعليمية التعلمية، وألا يخضعوا للترقية في وظائفهم إلا إذا أثبتوا إتقانهم أساسيات اللغة.

- ء- تنوع طرائق التدريس والمرونة في استعمالها بحسب الأجواء، بما يفسح المجال فيها لاستثارة المهارات العقلية العليا من فهم وتطبيق وتركيب وتحليل ونقد وتقييم...إلخ.
- هـ- تدريب معلمي اللغة على أساليب تعليم اللغة العربية وطرائق تدريسها، والعناية بالتعلم الذاتي والمطالعة الحرة.
- و- تشجيع المتعلمين كافة على استعمال العربية السليمة في مناقشاتهم اللغوية، والتشدد في عدم قبول إجاباتهم بالعامية.
- ز- تخصيص جوائز للناشئة المتميزين في استعمال لغتهم الأم في مناقشاتهم اللغوية.
- ح- إعادة النظر في مضمون المناهج ولغتها لتكون لغة للحياة النابضة الزاخرة.
- ط- التركيز على النحو الوظيفي وعلى التعبير الوظيفي في المناهج اللغوية.
- ي- التركيز على القوالب والبنى اللغوية في عملية تعليم اللغة في المراحل الأولى قبل الدخول في المصطلحات النحوية، وتجنب استعمال المصطلحات النحوية في المراحل المبكرة من التعليم.
- ك- الإكثار من حفظ النصوص من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأشعار والخطب البليغة في مراحل التعليم كافة وخاصة المراحل الأولى، وعلى قدر حفظ النصوص في المراحل الأولى يستقيم اللسان، يتحلَّى ذلك في صحة القلم واللسان.

- ل- ضبط الكتب المؤلفة بالشكل في جميع الكتب في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، وضبط ما يُخشى منه اللبس في المراحل التالية.
- م- التدريب المستمر على الكشف في المعاجم.
- ن- إنتاج كتب إلكترونية مبسطة بالعربية.
- س- تصميم دروس العربية بالحاسوب وعلى الشبابة («الإنترنت»).
- ع- تطوير أساليب الامتحانات في جميع المراحل التعليمية، وعدم الاختصار في التقويم على الامتحانات الكتابية، مع ضرورة بناء أدوات موضوعية لتقويم الأداء اللغوي، على أن تتضمن في بعض جوانبها الضبط بالشكل.
- ف- إجراء بحوث علمية لمعالجة المشكلات اللغوية في العملية التعليمية العلمية.
- ص- العناية بالمكتبات المدرسية وتزويدها بدوائر المعارف والمعاجم وأمّهات الكتب والكتب الإلكترونية والسلاسل المتنوعة، على أن تكون اللغة المستعملة فيها سليمة لغويًا، وعلى أن تُكَلَّف أطُرٌ متخصصة بالمكتبات العناية بها.
- ق- إغناء البيئة التعليمية العلمية بمصادر التعليم المختلفة من كتب وصحف ومجلات ووثائق وصور ومجسمات وتسجيلات ورسوم وأشكال وشرائح وخطوط بيانية وحواسيب... إلخ.
- ر- تفعيل المناشط اللغوية اللاصقيّة من صحافة مدرسية ومجلات وإذاعة مدرسية وكتابة إعلانات وافتتاحات، وإجراء مناظرات ومسابقات لاختيار الأداءات المتميزة وتخصيص جوائز لها.
- ش- تفعيل المسرح المدرسي والإكثار من عرض المسرحيات الناطقة بالعربية الفصيحة المبسطة وإشراك الناشئة في تمثيل أدوارها.

- ت- زيادة الاهتمام بذوي الحاجات الخاصة، وتوفير البرامج اللغوية والوسائل التعليمية الملائمة لهم تحقيقاً لدمجهم في المجتمع بصورة فعّالة.
- ث- الإشراف الفعّال على المدارس الخاصة والارتقاء بواقع اللغة العربية فيها.
- خ- التركيز على وضع مناهج خاصة لتعليم المغتربين وأبنائهم وغير الناطقين باللغة العربية اللغة العربية بغية إكسابهم مهاراتها.
- ذ- التركيز على اللغة العربية السليمة والشائقة في البرامج التعليمية التلفزية.
- ض- التنسيق مع وزارة الإعلام لإنتاج برنامج تلفزي متقن لتعليم العربية لأبنائها وللمغتربين ولغير الناطقين بها في ضوء الاتجاهات التربوية المعاصرة.

وزارة التعليم العالي:

- أ- اختيار الطلبة الراغبين في الانتساب إلى الكليات الجامعية كافة على أساس إتقان أساسيات اللغة العربية.
- ب- التزام جميع أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات والمعاهد استعمال اللغة العربية في العملية التعليمية التعلمية.
- ج- إعادة النظر في مناهج تدريس اللغة العربية في كلية الآداب لتكون وظيفية.
- ء- إعادة النظر في مناهج تعليم اللغة العربية لغير المختصين في ضوء اختصاص الطالب في كليته استشارة للدافعية، وتحقيقاً للمنحى الوظيفي.
- هـ- إعادة النظر في برامج إعداد معلمي اللغة اختياراً وتأهيلاً وتدريباً.
- و- تعميم تدريس اللغة العربية مطلباً جامعياً في كل الكليات الجامعية وفي الجامعات الرسمية والخاصة.

- ز- وضع خريطة بحثية بالتنسيق مع وزارة التربية لمشكلات تعليم اللغة العربية وتعلمها بغية معالجة هذه المشكلات بالأساليب العلمية.
- ح- الأخذ بالحسبان أن يكون من بين شروط ترقية أعضاء الهيئة التدريسية إتقانهم أساسيات اللغة.
- ط- اعتماد المصطلحات التي أقرها مجمع اللغة العربية بدمشق في التدريس وفي الترجمة.
- ي- تفعيل حلقات البحث لتؤدي الأغراض المرسومة لها من حيث تعويد الطالب البحث والتلخيص والعرض والمناقشة باللغة العربية السليمة في كليات الآداب والعلوم الإنسانية.
- ك- التركيز على اللسانيات التطبيقية في كليات الآداب والعلوم الإنسانية وتوظيفها في خدمة اللغة العربية الفصيحة.
- ل- إعادة الامتحانات الشفهية إلى أساليب تقويم الدارسين، وعدم الاكتفاء بالامتحانات التحريرية في الصفوف الأخيرة من الدراسة الجامعية.
- م- الإكثار من ضروب النشاط اللغوي بالعربية الفصيحة في المناشط اللاصفية في الإذاعة والصحافة الجامعية والمجلات والمسرحيات والمناظرات والمساجلات...إلخ.
- ن- تخصيص جوائز للمتفوقين من الطلاب في أدائهم اللغوي وفي جميع المجالات اللغوية.
- س- تطوير قسم الصحافة في جامعة دمشق ليغدو كلية للإعلام بأقسامها المختلفة من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية غايتها إعداد الأطر الإعلامية.

ع- تفعيل الترجمة الآلية وإعداد الأطر المتخصصة في ميدانها.

الإجراءات العاجلة:

أما الإجراءات العاجلة التي على وزارة التربية القيام بها فتتمثل في:

أ- عقد دورات تدريبية لجميع المعلمين لتدريبهم على استعمال أساسيات اللغة استعمالاً سليماً، وألا تقتصر الدورات على معلمي اللغة العربية وحدهم، انطلاقاً من أن تعليم اللغة مسؤولية جماعية، وأن استعمال اللغة السليمة من معلمي جميع المواد يُسهم أيما إسهام في تحسين الواقع اللغوي للمتعلمين.

ب- إجراء دورات تدريبية لمربيات رياض الأطفال لتدريبهم على استعمال اللغة المبسطة في التواصل مع الأطفال.

ج- ضبط الكتب المؤلفة بالشكل في جميع المواد الدراسية، وخاصة في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، والاستمرار في عملية الضبط في المراحل التالية، على أن يُضبط ما يُخشى منه اللبس بوجهٍ خاص.

د- تفعيل المكتبات المدرسية في المراحل كافة، والعمل على تعدد مصادر المعرفة في البيئة التعليمية التعلمية.

هـ- الإشراف الفعّال على المدارس الخاصة والارتقاء بواقع تدريس اللغة العربية فيها.

و- التركيز على استعمال اللغة العربية السليمة والشائقة في البرامج التعليمية التلفزيونية وتلك الموجهة إلى الأطفال.

- ز- الإكثار من حفظ النصوص من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر القديم والخطب البلاغية.
- ح- تطوير أساليب الامتحانات، وتخصيص حيز من الدرجات للامتحانات الشفوية.
- ط- إجراء بحوث علمية لدراسة مشكلات تعليم اللغة العربية وتعلمها في مراحل التعليم العام.
- ي- التزام المعلمين باستعمال العربية الفصيحة في دروسهم كافة، وألا يقبلوا من المتعلمين إلا التكلم بالفصيحة، وأن يعملوا على إسباغ ثوب الفصيحة على كلامهم بالعامية.
- ك- إعادة النظر في محتويات المناهج لتغدو وظيفية تُستعمل فيها لغة الحياة النابضة على أن يُجمع فيها بين الأصالة والمعاصرة.
- وأما الإجراءات العاجلة التي على وزارة التعليم العالي القيام بها فهي:
- أ- جعل مقرر اللغة العربية مطلبًا جامعيًا في الجامعات الرسمية والخاصة وفي مختلف التخصصات.
- ب- تخصيص حيز من أساليب تقويم الدارسين للامتحانات الشفوية وعدم الاكتفاء بالامتحانات التحريرية لقياس الأداء اللغوي.
- ج- التزام أعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات والمعاهد باستعمال العربية الفصيحة في دروسهم كافة في منأى عن استعمال العامية، وتدريب الطلاب على استعمال العربية في أسئلتهم وأجوبتهم.
- د- تطوير المناهج تطويرًا مستمرًا مواكبة لروح العصر، والحرص على استعمال اللغة العربية السليمة فيها.

ه- توحيد المصطلحات المستعملة في مؤسسات التعليم العالي بالتنسيق مع مجمع اللغة العربية.

و- قيام مجمع اللغة العربية بدمشق بإنجاز وضع مصطلحات الحياة العامة، ومتابعة تصحيح الأغلط المتأصلة في لغة الصحافة والإعلام والإعلانات، ومتابعة تحقيق كتب التراث.

٦- خطاب القسّم والتمكين للغة العربية

عندما أدى السيّد الرئيس بشار الأسد القسم الدستوري أمام مجلس الشعب لولاية دستورية جديدة في السابع عشر من شهر تموز لعام ٢٠٠٧م ألقى خطاباً شاملاً ومهمّاً بهذه المناسبة، وقد أشار في جانب من خطابه إلى إيلاء اللغة العربية المرتبطة بالتاريخ والثقافة كل الاهتمام والرعاية، كي تعيش في مناهجنا وإعلامنا وتعليمنا كائناتاً حيّاً ينمو ويتطور ويزدهر، وتكون في المكانة التي تستحقها جوهرًا لانتمائنا القومي، ولكي تكون قادرة على الاندماج في سياق التطور العلمي والمعرفي في عصر العولمة والمعلومات لتصبح أداة من أدوات التحديث، ودرعًا متينة في مواجهة محاولات التغريب والتشويش التي تتعرض لها ثقافتنا.

ويقول السيّد الرئيس بهذا الصدد: «يجب إيلاء اللغة العربية، وهذا الموضوع هام جدًّا، اللغة العربية التي ترتبط بتاريخنا وثقافتنا وهويتنا، كلّ اهتمامنا ورعايتنا. بدأت بهذا الموضوع ووضعت في خطاب القسم لأن هناك تراجعًا بالنسبة للغة العربية المرتبطة بالهوية العربية.

ويجب إيلاء اللغة العربية التي ترتبط بتاريخنا وثقافتنا وهويتنا كل اهتمامنا ورعايتنا كي تعيش معنا في مناهجنا وإعلامنا وتعليمنا، كائناتاً حيّاً ينمو ويتطور

ويزدهر، ويكون في المكانة التي يستحقها جوهراً لانتمائنا القومي، ولكي تكون قادرة على الاندماج في سياق التطور العلمي والمعرفي في عصر العولمة والمعلومات، ولتصبح أداة من أدوات التحديث ودرعاً متينة في مواجهة محاولات التغريب والتشويش التي تتعرض لها ثقافتنا.

لقد أعطينا في سورية اللغة العربية كل الاهتمام، وتبوّأت موقعاً رفيعاً في حياتنا الثقافية منذ وقت مبكر، ومطلوب منا اليوم استكمال جهودنا للنهوض بها ولاسيما في هذه المرحلة التي يتعرض فيها وجودنا القومي لمحاولات طمس هويته ومكانته، والذي يشكّل التمسك باللغة العربية عنواناً للتمسك بهذا الوجود ذاته.

ويجب أن نتذكر أن دعمنا لتعلم اللغات الأجنبية للوفاء بمتطلبات التعلم والتواصل الحضاري مع الآخرين ليس بديلاً عن اللغة العربية، بل مُحفِّزٌ إضافي لتمكينها والارتقاء بها.

ويتابع السيّد الرئيس قائلاً: «أنا مهتم جداً بتطوير نفسي في اللغات الأجنبية، وأتحدث بعض اللغات بطلاقة، ولا يوجد لديّ مشكلة، ومتحمس لهذا الشيء، ولكنني في الوقت نفسه حريص على اللغة العربية. وأول سؤال أسأله بعد كل خطاب: ما عدد الأخطاء اللغوية التي وقعت فيها قبل أن أسأل عن مضمون الخطاب، علينا أن نركّز بشكل مستمر على هذا الموضوع. في كل خطاب ننسى الكثير من الأفكار، ولكن لا أحزن، ولكن إذا كانت هناك أخطاء لغوية، فمع كل خطأ أشعر بالخجل».

ويشدّد السيّد الرئيس على الخطر الكبير الذي يحدث إذا ضعفت اللغة العربية، فيقول: «عندما تضعف اللغة العربية، من السهل أن يضعف أي

ارتباط آخر لنا سواء بالنسبة للوطن، بالنسبة للقومية، أو بالنسبة للدين، فهذه الأمور ترتبط باللغة».

والواقع أن هذه الدعوة الكريمة من قائد الوطن للحرص على سلامة اللغة، والتمكين لها في مناهجنا وتعليمنا وإعلامنا وفي سائر مناحي حياتنا، إنما يعطي دفعا قويا لتعزيز لغتنا القومية، لأن هذا الاهتمام ليس اهتماما عاديا وإنما هو اهتمام من قائد الأمة وحامي قيمها، وعلينا جميعا أن نكون على مستوى هذا الاهتمام انتماء وعملا وأداء.